الباب السادس عشر

في ذكر ما ورد فيه من نصوص السُنة

في «**الصحيحين**» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: «**اتقي الله واصبري**». فقالت: وما تبالي بمصيبتي فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت: يا رسول الله لم أعرفك فقال: «**إنما الصبر عند أول صدمة**». وفي لفظ: «**عند الصدمة الأولى**». وقوله: «**الصبر عند الصدمة الأولى**» مثل قوله: «**ليس الشديد بالصُرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه وقت الغضب**». فإن مفاجآت المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها، فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدها وضعفت قوتها فهان عليه استدامة الصبر وأيضاً: فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه وهي الصدمة الأولى وأما إذا وردت عليه بعد ذلك، فقد توطن لها وعلم أنه لا بد له منها فيصبح صبره شبيه الاضطرار وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئاً جاءت تعتذر إلى النبي ﷺ كأنها تقول له قد صبرت فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى.

ويدل على هذا المعنى ما رواه سعيد ابن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة جاثمة على قبر تبكي فقال لها: يا أمة الله اتقي الله واصبري قالت: يا عبد الله ثكلى. قال: يا أمة الله اتقي الله واصبري قالت: يا عبد الله لو كنت مصاباً عذرتني، قال: يا أمة الله اتقي الله واصبري. قالت: يا عبد الله قد سمعت، فانصرف عني، فمضى رسول الله ﷺ واتبعه رجل من أصحابه، فوقف على المرأة، فقال لها: ما قال لك الرجل الذاهب قالت: قال لي كذا وأجبته بكذا وكذا، قال: هل تعرفينه؟ قالت: لا

قال: ذلك رسول الله ﷺ. قال: فوثبتُ مسرعةً نحوه حتى انتهت إليه وهي تقول: أنا أصبر، أنا أصبر يا رسول الله. فقال: «**الصبر عند الصدمة الأولى الصبر عند الصدمة الأولى**».

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد وصالح الكندي بن مالك فقالا: حدثنا سعيد بن زربي فذكره فهذا السياق يبين معنى الحديث، قال أبو عبيد: معناه أن كل ذي رزية فان قصاراه الصبر ولكنه إنما يُحمد على صبره عند حدة المصيبة وحرارتها.

قلت: وفي الحديث أنواع من العلم. **أحدها**: وجوب الصبر على المصائب وأنه من التقوى التي أمر العبد بها. **الثاني**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن سكر المصيبة وشدتها لا يسقطه عن الآمر الناهي. **الثالث**: تكرار الأمر والنهي مرة بعد مرة حتى يعذو الأمر إلى ربه. **الرابع**: احتج به على جواز زيارة النساء للقبور فانه ﷺ لم ينكر عليها الزيارة وإنما أمرها بالصبر ولو كانت الزيارة حراماً لبين لها حكمها وهذا كان في آخر الامر فإن أبا هريرة إنما أسلم بعد السنة السابعة وأجيب عن هذا بأنه ﷺ قد أمرها بتقوى الله والصبر وهذا إنكار منه لحالها من الزيارة والبكاء، ويدل عليه أنها لما علمت أن الآمر لها من تجب طاعته انصرفت مسرعة، وأيضاً فأبو هريرة لم يخبر أنه شهد هذه القصة، فلا يدل الحديث على أنها بعد إسلامه، ولو شهدها فلعنته ﷺ لزائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج كان بعد هذا في مرض موته وفي عدم تعريفه لها بنفسه في تلك الحال التي لا تملك فيها نفسها شفقة منه ورحمة بها إذا عرفها بنفسه في تلك الحال، فربما لم تسمع منه فتهلك وكان معصيتها له وهي لا تعلم أنه رسول الله أخف من معصيتها له لو علمت به فهذا من كمال رأفته صلوات الله وسلامه عليه.

وفي «**صحيح مسلم**» عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله خيراً منها**». قالت: فلما مات أبو

سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسوله ﷺ فأرسل إليّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور، فقال: أما بنتها فأدعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أنْ يذهب بالغيرة فتزوجت رسول الله ﷺ.

وعند أبي داود في هذا الحديث عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم، عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها وأبدلني خيراً منها»**. فلما احتُضر أبو سلمة قال: اللهم اخلفني في أهلي خير مني، فلما قُبض قالت أم سلمة: إنا لله وإنا إليه راجعون عند الله أحتسب مصيبتي، فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله إلى ما آلت إليه وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله.

وفي **«جامع الترمذي»** و**«مسند الإمام أحمد»** وصحيح ابن حبان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون: نعم فيقول: ماذا قال عبدي فيقولون: حمدك واسترجعك فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»**.

وفي **«صحيح البخاري»** من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة»** يريد عينيه.

وعند الترمذي في الحديث **«إذا أخذتُ كريمتَي عبدٍ في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة»**. وفي الترمذي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبته فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة»**.

وفي **«سنن أبي داود»** من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يرضى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض واحتسبه بثواب دون الجنة»**. وفي **«صحيح البخاري»** من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم**

احتسبه إلا الجنة» وفي «صحيحه» أيضاً عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: «ألا أُريك امرأةً من أهل الجنة. قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أُصرع واني أتكشّف، فادع الله لي. قال: إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها».

وفي «الموطأ» من حديث عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فقال: انظرا ماذا يقول لعواده فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله عز وجل وهو أعلم فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفّر عنه سيئاته».

وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق نادى منادٍ: أين أهل الصبر فيقوم ناس وهم قليلون، فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل فيقولون: ما كان فضلكم فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا غفرنا وإذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين».

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قسم مالاً فقال بعض الناس: هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «رحم الله موسى فقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر». وفي «الصحيحين» من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها». وفيهما أيضاً من حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه».

وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحطَّ عنه خطيئة». وفي

«**المسند**» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في جسده وحاله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**».

وفي «**الصحيح**» من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة**».

وفي «**الصحيحين**» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك وعكاً شديداً قال، فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً قال: «**أجلْ إني لأوعك كما يوعك رجلان منكم، فقلت: إن لك لأجرين، قال: نعم والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه به خطاياه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها**». وفي «**الصحيحين**» أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت الوجع أشد منه على رسول الله ﷺ.

وفي بعض «**المسانيد**» مرفوعاً: أن الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وروي عن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ: «**إذا اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد**».

وفي «**صحيح البخاري**» من حديث خبّاب بن الأرتّ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد ببردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويُمشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**». وفي لفظ للبخاري: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل

الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا: «**ألا تدعو الله فنقعد وهو محمر وجهه**». فقال: «**لقد كان الرجل ليمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه**». وقد حمل أهل العلم قول خباب: «**شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء فلم يشكنا**». على هذا المحمل وقال: شكوا إليه حر الرمضاء الذي كان يصيب جباههم وأكفهم من تعذيب الكفار فلم يشكهم وإنما دلّهم على الصبر وهذا الوجه أنسب من تفسير من فسر ذلك بالسجود على الرمضاء واحتج به على وجوب مباشرة المصلي بالجبهة لثلاثة أوجه:

أحدها: إنه لا دليل في اللفظ على ذلك.

الثاني: أنهم قد أخبروا أنهم كانوا مع النبي ﷺ فكان أحدهم إذا لم يستطع أن يسجد على الأرض يبسط ثوبه فيسجد عليه والظاهر أنه هذا يبلغه ويعلم به وقد أقرهم عليه.

الثالث: أن شدة الحر في الحجاز تمنع من مباشرة الجبهة والكف للأرض بل يكاد يشوي الوجه والكف فلا يتمكن من الطمأنينة في السجود ويذهب خشوع الصلاة ويتضرر البدن ويتعرض للمرض والشريعة لا تأتي بهذا فتأمل رواية خباب لهذا والذي قبله واجمع بين اللفظين والمعنيين والله أعلم ولا تستوحش من قوله: «**فلم يشكنا**». فإنه هو معنى إعراضه عن شكايتهم واخباره لهم بصبر من قبلهم والله أعلم.

وفي «**الصحيح**» من حديث أسامة بن زيد قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: أن ابناً لي احتُضر، فأتنا فأرسل يُقريها السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فلتصبر ولتحتسب**» فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال فرُفع الصبي إلى رسول الله فأقعده في حجره ونفسه تقعقع كأنها شن ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا قال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب من يشاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**».

وفي «**سنن النسائي**» عن ابن عباس قال: احتضرت ابنة لرسول الله ﷺ

صغيرة فأخذها رسول الله ﷺ وضمها إلى صدره ثم وضع يده عليها وهي بين يدي رسول الله ﷺ فبكت أم أيمن فقلت لها: أتبكين ورسول الله ﷺ عندك فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي فقال رسول الله ﷺ: «**المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل**».

وفي «**صحيح البخاري**» من حديث أنس رضي الله عنه قال: اشتكى ابن لأبي طلحة فمات وأبو طلحة خارج فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً وسجته في جانب البيت فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح فظن أبو طلحة أنها صادقة قال: فبات معها فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع رسول الله ﷺ ثم أخبره بما كان منهما فقال رسول الله ﷺ: «**لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما**».

قال ابن عُيينة، فقال رجل من الأنصار: فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن وفي موطأ مالك عن القاسم بن محمد قال: هلكت امرأة لي فأتانا محمد ابن كعب القرظي يعزيني فيها فقال: إنه قد كان في بني اسرائيل رجل فقيه عابد عالم مجتهد وكانت له امرأة وكان بها معجباً فماتتْ، فوجد عليها وجداً شديداً حتى خلى في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس، فلم يكن يدخل عليه أحد ثم إن امرأة من بني إسرائيل سمعت به فجاءته، فقالت: إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ليس يجزيني إلا أن أشافهه بها فذهب الناس ولزمت الباب، فأخبر فأذن لها، فقالت: أستفتيك في أمر. قال: وما هو قالت: إني استعرت من جارةٍ حُلياً فكنت ألبسه وأعيره زماناً ثم إنها أرسلت إليَّ فيه أفأرده إليها؟ قال: نعم قالت: والله إنه مكث عندي زماناً، فقال: ذلك أحق لردك إياه، فقالت له: يرحمك الله أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك وهو أحق به منك فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها.

وفي «**جامع الترمذي**» عن شيخ من بني مرة قال: قدمت الكوفة فأخبرت عن بلال بن أبي بردة فقلت: إن فيه لمعتبراً فأتيته وهو محبوس في داره التي كان بنى وإذا كل شيء منه قد تغير من العذاب والضرب واذا هو في قشاش، فقلت

له: الحمد لله يا بلال لقد رأيتك تمر بنا وأنت تمسك أنفك من غير غبار وأنت في حالتك هذه فكيف صبرك اليوم فقال: ممن أنت قلت: من بني مرة بن عباد قال: ألا أحدثك حديثاً عسى أن ينفعك الله به قلت: هات قال: حدثني أبو بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر»**. قال: وقرأ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ (الشورى: ٣٠).

وفي **«الصحيحين»** من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي أن نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**. فتضمنت هذه الدعوة العفو عنهم والدعاء لهم والاعتذار عنهم والاستعطاف بقوله: **«لقومي»**.

وفي **«الموطأ»** من حديث عبد الرحمن بن القاسم قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي»**.

وفي **«الترمذي»** من حديث يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم»** قال الترمذي: كان شعبة يرى أن الشيخ ابن عمر.

وفي **«الصحيحين»** من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما أعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر»**. وفي بعض «المسانيد» عنه ﷺ أنه قال: **«قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً»**.

وفي **«جامع الترمذي»** عنه ﷺ: **«إذا أحبّ الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»**. وفي بعض «المسانيد» عنه ﷺ مرفوعاً: **«إذا أراد الله بعبد خيراً صب عليه البلاء صباً»**. وفي **«صحيح مسلم»** من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على امرأة فقال: مالك ترفرفين قالت: الحمى لا بارك الله فيها قال: **«لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد»**.

ويذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من وعك ليلةً، فصبر ورضي عن الله تعالى، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**». وقال الحسن: (**إنه ليكفر عن العبد خطاياه كلها بحمّى ليلة**). وفي «المسند» وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو محموم فوضعت يدي من فوق القطيفة فوجدت حرارة الحمى فقلت: ما أشد حماك يا رسول الله قال: «**إنا كذلك معاشر الأنبياء يضاعف علينا الوجع ليضاعف لنا الأجر**» قال قلت: يا رسول الله فأي الناس أشد بلاء قال: الأنبياء. قلت ثم من؟ قال: الصالحون إن كان الرجل ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباء فيجوبها فيلبسها وإن كان الرجل ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم).

وقال عقبة بن عامر الجهني: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من عمل إلا وهو يختم عليه فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته عن العمل فيقول الرب تعالى: اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت**». وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «إذا مرض العبد المسلم نودي صاحب اليمين أن أجر على عبدي صالح ما كان يعمل وهو صحيح ويقال لصاحب الشمال: أقصر عن عبدي ما دام في وثاقي». فقال رجل عند أبي هريرة: يا ليتني لا أزال ضاجعاً فقال أبو هريرة: كره العبد الخطايا ذكره ابن أبي الدنيا.

وذكر أيضاً عن هلال بن يساف قال: كنا قعوداً عند عمار بن ياسر فذكروا الأوجاع فقال أعرابي: ما اشتكيت قط فقال عمار: ما أنت منا ـ أو لست منا ـ إن المسلم يبتلى ببلاء فتحط عنه ذنوبه كما يحط الورق من الشجر وإن الكافر ـ أو قال الفاجر ـ يبتلى ببلية فمثله مثل البعير إن أطلق لم يدر لم أطلق وإن عقل لم يدر لم عقل وذكر عن أبي معمر الأزدي قال: كنا إذا سمعنا من ابن مسعود شيئاً نكرهه سكتنا حتى يفسره لنا فقال لنا ذات يوم: ألا أن السقم لا يكتب له أجر، فساءنا ذلك وكبر علينا، فقال: ولكن يكفر به الخطيئة فسرَّنا ذلك وأعجبنا.

وهذا من كمال علمه وفقهه رضي الله عنه فإن الأجر إنما يكون على الأعمال الاختيارية ومما تولد منها كما ذكر الله سبحانه النوعين في آخر سورة التوبة

في قوله تعالى المباشر من الإنفاق وقطع الوادي ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ (التوبة: ١٢٠). وفي المتولد من إصابة الظمأ والنصب والمخمصة في سبيله وغيظ الكفار ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ (التوبة: ١٢٠). فالثواب مرتبط بهذين النوعين وأما الأسقام والمصائب فإن ثوابها تكفير الخطايا ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠). والنبي ﷺ إنما قال في المصائب: «**كفر الله بها من خطاياه**». كما تقدم ذكر ألفاظه ﷺ وكذا قوله: «**المرض حطة**» فالطاعات ترفع الدرجات والمصائب تحط السيئات ولهذا قال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يصب منه**» وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**». فهذا يرفعه وهذا يحط خطاياه.

وقال زيد بن ميسرة: إن العبد ليمرض المرض وما له عند الله من عمل خير فيذكره الله سبحانه بعض ما سلف من خطاياه فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله فيبعثه ولا يرد على هذا حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في ثواب من قبض الله ولده وثمرة فؤاده بأن يبني له بيتاً في الجنة ويسميه بيت الحمد.

وقال زياد بن زياد مولى ابن عباس رضي الله عنه وعن أصحاب النبي ﷺ قال: «**دخلنا على النبي ﷺ وهو ممعوك - أي محموم - فقلنا: أح أح بأبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ما أشد وعكك**». قال: «**إنا معاشر الأنبياء يضاعف علينا البلاء تضعيفاً**». قال: قلنا: سبحان الله. قال: «**أفعجبتم إن كان النبي من الأنبياء ليقتله القمل**» قلنا: سبحان الله قال: «**أفعجبتم إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء**».

أح (بالحاء المهملة) هو المعروف من كلامهم، ومن قاله بالخاء المعجمة فقد غلط - وذكر النسائي عن عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة قالت: أتيت النبي ﷺ في نسوة نعوده فإذا سقاء معلقة يقطر ماءها من شدة ما كان يجد من الحمّى، فقلنا: لو دعوت الله يا رسول الله أن يذهبها عنك، فقال: «**إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

وقال مسروق عن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت أحداً أشد وجعاً من رسول الله ﷺ: كان يشدد عليه إذا مرض حتى إنه لربما مكث خمس عشرة لا ينام وكان يأخذه عرق الكلية ـ وهو الخاصرة ـ فقلنا: يا رسول الله لو دعوت الله فيكشف عنك قال: «**إنا معاشر الأنبياء يشدّد علينا الوجع ليكفّر عنا**».

وفي «**المسند**» والنسائي من حديث أبي سعيد قال: قال رجل: يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا مالنا بها قال: كفارات فقال أبي بن كعب: يا رسول الله وان قلّت؟ قال: شوكة فما فوقها قال: فدعا أبي على نفسه عند ذلك أن لا يفارقه الوعك حتى يموت ولا يشغله عن حج، ولا عمرة، ولا جهاد في سبيل الله وصلاة مكتوبة في جماعة قال: فما مس رجل جلده بعدها إلا وجد حرها حتى مات وقال عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة، ثم مرض قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طلقاً أو اكفته إلى ناقة طُلُق**». بضم الطاء واللام إذا حلّ عقالها، ويقال: كفته إليه إذا ضمه إليه ـ ذكره ابن أبي الدنيا.

وذكر أيضاً عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به، كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز، فذلك الذي نجّاه الله من السيئات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك، فذلك الذي يشك بعض الشك، ومنهم يخرج كالذهب الأسود، فذلك الذي قد افتتن**». وذُكر أيضاً من مراسيل الحسن البصري عن النبي ﷺ: «**إن الله ليكفّر عن المؤمن خطاياه كلها بحمّى ليلة**».

قال ابن أبي الدنيا: قال ابن المبارك: هذا من الحديث الجيد قال: وكانوا يرجون في حمى ليلة كفارة ما مضى من الذنوب.

وذكر عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكي «**فقال: قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك، وصبراً على بليتك وخروجاً من الدنيا إلى رحمتك**». وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «**إن الحُمّى تحط الخطايا كما تحطّ الشجرة ورقها**». وقال أبو هريرة وقد عاد مريضاً فقال له: ان

رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة**».

وقال مجاهد: الحُمَّى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٧١). وهذا لم يرد به مجاهد تفسير الورود الذي في القرآن فإن السياق يأبى حمله على الحمى قطعاً وإنما مراده أن الله سبحانه وعد عباده كلهم بورود النار فالحمى للمؤمن تكفر خطاياه فيسهل عليه الورود يوم القيامة فينجو منها سريعاً والله أعلم.

ويدل عليه حديث أبي ريحانة عن النبي ﷺ: «**الحمّى من كير جهنم وهي نصيب المؤمن من النار**». وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن إذا برأ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها**». ذكره ابن أبي الدنيا.

وذكر أيضاً عن أبي أمامة يرفعه: «**ما من مسلم يُصرع صرعة من مرض إلا بعث منها طاهراً**». وذكر عنه ﷺ: «**مثل المؤمن حين يصيبه الوعك مثل الحديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها**». وذكر أيضاً عنه مرفوعاً: «**إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته: يا ملائكتي أنا قيدت عبدي بقيد من قيودي، فإن أقبضه أغفر له، وإنْ أعافه، فجسد مغفور لا ذنب له**».

وذكر عن سهل بن أنس الجهني عن أبيه عن جده قال: دخلت على أبي الدرداء في مرضه فقلت: يا أبي الدرداء إنا نحب أن نصح ولا نمرض، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الصداع، والمليلة لا يزالان بالمؤمن وإن كان ذنبه مثل أحد حتى لا يدعان عليه من ذنبه مثقال حبة من خردل**». المليلة: فعيلة من التململ وأصلها من الملة التي يخبز فيها. وقالت أم سَلَمة عن النبي ﷺ: «**ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريق يكرهها إلا جعل الله ذلك البلاء له كفارة وطهوراً ما لم ينزل ما أصابه من البلاء بغير الله أو يدعو غير الله**». وقال عطية بن قيس: «مرض كعب فعاده رهط من أهل دمشق، فقالوا: كيف نجدك يا أبا إسحاق؟ قال: بخير جسد أخذ بذنبه إن شاء ربه عذّبه وإن شاء رحمه

وإن بعثه بعثه خلقاً جديداً لا ذنب له». وقال سعيد بن وهب: «دخلنا مع سلمان الفارسي على رجل من كندة نعوده، فقال سلمان: إنّ المسلم يبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعتباً فيما بقي وإن الكافر يبتلى فمثله كمثل البعير أطلق فلم يدر لم أطلق وعقل فلم يدر لم عقل».

وذكر أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار وأكب عليه فسأله فقال: يا نبي الله ما غمضت منذ سبع فقال رسول الله ﷺ: **«أي أخي اصبر أي أخي اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها»**. ثم قال رسول الله ﷺ: **«ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا»**.

وفي النسائي من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لأعرابي: «هل أخذتك أم ملدم؟ قال: يا رسول الله وما أم ملدم؟ قال: حر يكون بين الجلد والدم قال: ما وجدت هذا؟ قال: يا أعرابي هل أخذك هذا الصداع، قال: يا رسول الله وما الصداع؟ قال: عرق يضرب على الإنسان في رأسه. قال: ما وجدت هذا فلما ولى قال رسول الله ﷺ: **«من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»**. وقالت أم سليم: مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال: يا أم سليم أتعرفين النار والحديد وخبث الحديد؟ قلت: نعم يا رسول الله قال: «أبشري يا أم سليم، فإنك إن تخلصي من وجعك هذا تخلصي منه كما يخلص الحديد في النار من خبثه». وخرج بعض الصحابة زائراً لرجل من إخوانه فبلغه أنه شاك قبل أن يدخل عليه فقال: أتيتك زائراً وأتيتك عائداً ومبشراً قال: كيف جمعت هذا قال: خرجت وأنا أريد زيارتك فبلغني شكاتك فصارت عيادة وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: **«إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها ـ أو قال: لم ينلها بعمله ـ ابتلاه الله في جسده أو في ولده أو في ماله، ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل»**.

وقال الحسن وذكر الوجع: أما والله ما هو بشر أيام المسلم أيام نورت له فيها مراحله وذكر فيها ما نسي من معاده وكفر بها عنه من خطاياه. وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة مفاليس.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: انتهى رسول الله ﷺ إلى شجرة فهزها حتى سقط من ورقها ما شاء الله ثم قال: **«المصائب والأوجاع في إحباط ذنوب أمتي أسرع مني في هذه الشجرة»**.

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة يرفعه: ما من مسلم إلا وكل الله به ملكين من ملائكته لا يفارقانه حتى يقضي الله بأمره بإحدى الحسنيين إما بموت وإما بحياة فإذا قال له العواد كيف تجدك؟ قال: أحمد الله. أجدني والله المحمود بخير. قال له الملكان: أبشرْ بدم هو خير من دمك وصحة هي خير من صحتك. وإن قال: أجدني مجهوداً في بلاء شديد قال له الملكان: أبشرْ بدمٍ هو شرّ من دمك، وبلاء أطول من بلائك.

ولا يناقض هذا قول النبي ﷺ في وجعه: «وارأساه» وقول سعد: يا رسول الله قد اشتد بي الوجع وأنا ذو مال، وقول عائشة: وارأساه. فإن هذا قيل على وجه الإخبار لا على وجه شكوى الرب تعالى إلى العواد فإذا حَمِد المريض الله ثم أخبر بعلته لم يكن شكوى منه وإن أخبر بها تبرما وتسخطاً كان شكوى منه فالكلمة الواحدة قد يثاب عليها وقد يعاقب بالنية والقصد.

وقال ثابت البناني: انطلقنا مع الحسن إلى صفوان بن محرز نعوده فخرج إلينا ابنه وقال: هو مبطون لا تستطيعون أن تدخلوا عليه فقال الحسن: إن أباك أن يؤخذ اليوم من لحمه ودمه فيوجد فيه خير من أن يأكله التراب.

وقال ثابت أيضاً: دخلنا على ربيعة بن الحارث نعوده وهو ثقيل فقال: أنه من كان في مثل حالتي هذه ملأت الآخرة قلبه كانت الدنيا أصغر في عينيه من ذباب وذكر عن أنس عن النبي ﷺ قال: **«إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**. ويذكر عنه ﷺ: **«لا ترد دعوة المريض حتى يبرأ»**.

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً فتبسم فقلنا: يا رسول الله مم تبسمت قال: تعجباً للمؤمن من جزعه من السقم ولو كان يعلم ما له في السقم أحب أن يكون سقيماً حتى يلقى الله ثم تبسم ثانية ورفع رأسه إلى السماء قلنا: يا رسول الله مَمَّ تبسمْتَ ورفعتَ

رأسك إلى السماء؟ قال: عجبت من ملكين نزلا من السماء يلتمسان عبداً مؤمناً كان في مصلاه يصلي فلا يجداه فعرَّجا إلى الله، فقالا: يا رب عبدك فلان المؤمن كنا نكتب له شيئاً من عمله، فقال: اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمله في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئاً فعليَّ أجر ما حبسته وله أجر ما كان يعمل.

ويذكر عنه ﷺ: **«مَن وُعك ليلةً فصبر ورضي بها عن الله عز وجل خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه»**. ومن مراسيل يحيى بن كثير قال: فقد رسول الله ﷺ سلمان فسأل عنه فأخبر أنه عليل فأتاه يعوده فقال: **«شفى الله سقمك وعظم أجرك وغفر ذنبك ورزقك العافية في دينك وجسمك إلى منتهى أجلك إن لك من وجعك خلالاً ثلاثاً: أما الأولى فتذكرة من ربك يذكرك بها، وأما الثانية فتمحيص لما سلف من ذنوبك، وأما الثالثة فادع بما شئت فإن المبتلى مجاب الدعوة»**.

وقال زياد بن الربيع: قلت لأبي بن كعب آية من كتاب الله قد أحزنتني قال: ما هي قلت ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ (النساء: ١٢٣). قال: ما كنت أراك إلا أفقه مما أرى إن المؤمن لا يصيبه عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وسئلت عائشة عن هذه الآية، فقالت: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: **«يا عائشة هذه معاقبة الله تعالى لعبده بما يصيبه من الحُمَّى والمليلة والشوكة وانقطاع شسعه حتى البضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيفزع له فيجدها في ضبنه حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج الذهب الأحمر من الكير»**. ضبن الإنسان: ما تحت يده، يقال: اضطبنى كذا إذا حمله تحت يده.

وقال وهب بن منبه: لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة ويعد الرخاء مصيبة وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرخاء وصاحب الرخاء ينتظر البلاء.

وفي بعض كتب الله سبحانه: **«إن الله ليصيب العبد بالأمر يكرهه وإنه ليحبه ليتظر كيف تضرعه إليه»**.

وقال كعب: أجد في **«التوراة»** (لو أن يحزن عبدي المؤمن لعصبت الكافر

بعصابة من حديد لا يصدع أبداً) وقال معروف الكرخي: إن الله ليبتلي عبده المؤمن بالأسقام والأوجاع فيشكو إلى أصحابه، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما ابتليتك بهذه الأوجاع والأسقام إلا لأغسلك من الذنوب فلا تشكي.

وذكر ابن أبي الدنيا، قال رجل: يا رسول الله ما الأسقام؟ قال: أو ما سقمت قطّ؟ قال: لا. فقال: قم عنا فلست مؤمناً.

وكان عبد الله بن مسعود قد اشتدت به العلة، فدخل عليه بعض أصحابه يعوده وأهله تقول: نفسي فداك ما نطعمك ما نسقيك فأجابها بصوت ضعيف: بليت الحرافيف وطالت الضجعة والله ما يسرني أن الله نقضني منه قلامة ظفر.

وطلّق خالد بن الوليد امرأة له، ثم أحسن عليها الثناء، فقيل له: يا أبا سليمان لأي شيء طلّقتها؟ قال: ما طلّقتها لأمرٍ رابني منها، ولا ساءني، ولكن لم يصبها عندي بلاء ويذكر عنه ﷺ: **«ما ضرب على مؤمن عرق إلا كتب الله له به حسنة وحُطَّ عنه به سيئة ورفع له به درجة»**.

ولا ينافي هذا ما قدّمناه من أن المصائب مكفرات لا غير لأن حصول الحسنة إنما هو بصبره الاختياري عليها وهو عمل منه وعاد رجل من المهاجرين مريضاً فقال: إن للمريض أربعاً: يرفع عنه القلم، ويكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته، ويتبع المرض كل خطيئة من مفصل من مفاصله فيستخرجها، فإن عاش عاش مغفوراً له، وإن مات مات مغفوراً له، فقال المريض: اللهم لا أزال مضطجعاً.

وفي **«المسند»**: عنه ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له إنْ أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن»** ـ وفي لفظٍ: **«إن أمر المؤمن كله عجيب إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**.

□